وجدوا له عروساً
معربة عن الانكليزي

١

كانت ننسي بديعة الجمال وحيدة لوالديها الفقيرين القاطنين في احدى قرى بريطانية . وقد بخلت عليها الطبيعة بالرغد والرفاه ، فلم يكن لها سوى بدلة قديمة قاتمة اللون ، وقد صغرت عليها ولهذا كانت تعطيها سناً اصغر من سنها

وكم كانت تشتهي ان يكون عندها ثياب جميلة . ولكن من اين تحصل على ذلك وهي فقيرة . وكم كانت تتوق الى تعلم الاختزال والكتابة على الآلة . لكي تنال راتباً تسد به حاجاتها وتماثل رفيقاتها ، وحيث انها لم تنل مبتغاها عمدت الى المطالعة في بعض كتب قديمة لوالدها نالت منها جانباً من المعرفة

اما شغلها اليومي فكان التقاط الثمار ومساعدة والدتها في زرع بعض البقول حوالي بيتهم الصغير لاجل المعيشة ، وكانت كل ما تعبت من تلك الحياة تطلب بالحاح لوالديها ان يسمحا لها بالذهاب الى احدى المدن للتحصيل والافادة فيمنعانها بقولهما انك وحيدتنا وليس لنا في هذه الدنيا سواك ، فكيف تفارقينا ونحن قد تجاوزنا سن الكهولة ؟

٢

صادفت يوماً احدى العجائز « الترمارات » ننسي ووالدتها في الحقل فاوقفتهما تفص عليهما الاقاصيص ، ثم تفرست في ننسي طويلاً . وهمست

في اذن والدتها قائلة : سوف تصبح ابنتك في مركز شريف ومجيد رؤوس متوجة تنحني امامها طرقها مزينة بالورود . وهي من جلال الى جلال تسير رجل عظيم الشان يترضى وجهها . وسوف تنتشر سمعتها في البلاد

رجعت والدة ننسي الى بيتها وقد سحرتها تلك الكلمات وتلك السعادة التي ستنالها ابنتها ، فتلقاها زوجها وقال: اخبرينا بما سمعت ورأيت في سياحتك فاخذت تسرد عليه اقوال الشيخة كلمة فكلمة ، والسرور والامل والايمان تتدفق من قلبها . فقال الرجل : وكثيراً ما حلمت ان لي سيارة وقد اخذت فيها ننسى الى لندن واشتريت لها بدلة بيضاء جميلة جداً وانتهت تلك المحادثة الطيبة بتناول العشاء البسيط . وبعد ساعة استغرق الوالد في نوم عميق وكانت ننسي غائصة في بحر المطالعة . فنظرت والدتها الى محياها الصبيح وشعرها المسترسل على كتفها كانه اشعة الشمس فقبلتها ذياك البهاء الملاكي فقالت : « الا يا ابنتي ارفعي شعرك لانك بلغت العمر الذى فيه يجب ان تظهري كسيدة ولعل من يأتي عن قريب فيخطبك » اجابت الفتاة : « لا احد في قريتنا يرضيني فانا افضل ان اشتغل واعيش فاسمحي لي يا امي بالاستخدام في دائرة القطار فاقضي نهاري هناك وارجع عند الغروب » وقبل ان تجبها والدتها قرع الباب فافاق الوالد من نومه وفتح للقارع واذا به موزع البريد وبيده رسالة لامرأته فقضتها واجلة فيها نظرها وصاحت : هذه من شقيقتي جسكه انها عن قريب تحضر عندنا مع زوجها حاكم « رانجون » في الهند وسوف تأخذ ننسي معها . الظاهر ان نبوة الشيخة ستصح »

٣

بعد ايام قلائل وصلت الخالة جسكه مع قرينها . وما اشد ما كان

فرحها برؤية نتسي الجميلة فاخذتها الى صدرها تقبلها بلهف وشوق ثم صرفتها واختلت بشقيقتها ودار بينهما حديث طويل لم تفهم منه نتسي شيئاً

وفي الغداة طلبت الخالة مواجهة والد نتسي وحدثته كثيراً فما كان جوابه سوى الدموع تتساقط على خديه . ثم قال : لنسأل نتسي هل يطاوعها قلبها على تركنا »

دخلت نتسي وقلبها طائر فرحاً فما وقع نظرها على محيا والدها المغرق بالدموع حتى ترامت عليه تبله متوسلة اليه ان يكفكف الدموع و تعاهده ان لا تفارقه الا برضاه وبركته

لم تكن نتسي تعلم على اي امر دارت المحادثة ولاي سبب تسافر انما كانت معتقدة ان خالتها تقصد ترويحها وابتهاجها في تلك السياحة الطويلة

اما الحقيقة فكانت امر تزوج نتسي باغنى رجل في « رانجون » وهو صديق زوج خالتها جسكه وكان قد شاهد « رسم نتسي فاحبها عن بعد فوعدته جسكه بها ولهذا حضرت الى انكلترة وتم الاتفاق مع الوالدين لكنهما لم يخبرا نتسي بشيء من هذا

٤

اقبلت نتسي على والديها تودعهما فضمتها والدتها قائلة : «سوف تصبحين ملكة يا ابنتي في مالك وجمالك فلتباركك السماء ولتصحبك السلامة » وقد كان قصد والدها ان يخبرها بالامر لولا اشارة من خالتها جسكه . وهكذا سلمها لعناية خالتها

لم تكد نتسي تدخل باب المحطة حتى تطاولت اليها الاعناق واحدقت بها الانظار اعجاباً ودهشة لجمالها الفتان وهي لا تشعر لان الفرح بركوبها

القطار لاول مرة منعها عن كل ما حولها وبعد ان اخذ القطار يطير قالت لها خالتها

ـ : اتعلمين يا عزيزتي الى اين يودينا القطار الآن

ـ : لا يا خالتي

ـ : الى لندن المدينة العظيمة فنصلها قبل الظهر ونتوجه الى المخازن الجميلة الكبيرة ونأخذ لك ثياباً لائقة بجمالك وبمقامي

وصل القطار الى لندن وعينا نتسي شاردتان في ذلك المنظر الذي ادهشها وحير عقلها . فاخذت خالتها بيدها وادخلتها سيارتها التي كانت بانتظارها على المحطة فذهبتا الى اعظم مخزن وطلبت الخالة افخر البدلات وانواع الزينة والبهرجة ثم قالت لنتسي « سوف تحضرين حفلة زفاف رجل عظيم الشان » على غادة تشابهك في القامة والهيئة والوجه ولهذا اريد ان اجرب عليك بدلة عرسها و ناولتها بدلة بيضاء مزخرفة بازهار الليمون الاصطناعية فالبستها اياها ولم تتمالك الخالة « جسكة » من اظهار اعجابها بجمال ابنة اختها التي ظهرت كانها ملاك هابط من السماء

ثم البستها بدلة فاخرة وقفلت بها راجعة الى المنزل وعند المساء اخذت تجول بنتسي في شوارع لندن وملاهيها وتدربها على القيام والقعود والعادات ولم يمض عليها اسبوع حتى اتقنت كل ذلك ثم اخذهما زوج الخالة الى باخرة كبيرة للسفر الى الهند

وقد اصاب الخالة جسكه دوار شديد لكن نتسي لم يؤثر فيها البحر ولم تلتفت الى اعجاب اركاب بجمالها انما كانت تصرف انظارها الى مناظر الموانئ المتتابعة وتسر بمشاهدة طيور البحر البيضاء تحوم حوالي الباخرة

٥

وكان من جملة الركاب ضابط عسكري طويل القامة ادهشه جمال نسي فكان يتبعها بنظره حيثما سارت وبينما كانت ذات يوم في بهو المركب تأخذ من صندوق البريد الرسائل الواردة على خالتها وقف ذلك الضابط امامها قائلاً بمزيد التأدب هل وجدت مطلوبك يا حضرة الآنسة فالتفت اليه ووقعت انظارها على عينيه النجلاوين اللتين لم تشاهد في حياتها احلى منهما فلم تجاوبه انما تناولت الرسائل واسرعت الى خالتها واذا هي جالسة امام النافذة تراقب حركة الضابط الطويل وقد عرفته واسمه الكبتن « جيرالد موريزون » وهو مقيم في « رانجون » كما ان زوجها الحاكم المستر « دن » كان يعرف عنه اشياء كثيرة وقد استاء للصدف التي اوجدته معهم في باخرة واحدة

على ان الضابط كان يراقب « نسي » ولا يزال ينتهز الفرص لمكالمتها وهذا من اسهل الامور على ظهر الباخرة

٦

تحسنت صحة الخالة جسكه فارادت الجلوس على سطح الباخرة فقالت لنسي « لو لم تكوني معي يا عزيزتي لضاق صدري فساعديني على لبس ثيابي ويوجد كيس حريري ناوليني اياه فقدمته لها ففتحته واخذت منه صورة رجل دفعتها لنسي قائلة :

ـ : كيف ترين هذا الرجل ؟ فانه صديق زوجي . فتفرست في الصورة ثم ارجعتها قائلة :

ـ : الظاهر انه لطيف وانيس .

ـ : اي نعم ، وانه غني جداً جداً ، ثم استندت الى ذراع نسي فصعدتا الى ظهر الباخرة فتقدم الضابط متلطفاً يسأل عن صحة الخالة وهكذا فتح له باباً للتكلم مع نسي التي كهر بها بنظر عينيه فتقدم اليها بلطف قائلاً :

ـ : اظن يا سيدتي الصغيرة ان هذه اول سياحة لك الى الشرق ؟

ـ : نعم وهي سياحة طويلة الى الهند

ـ : انك سوف تسرين جداً في « رانجون » لان كل مافيها جذاب وجميل وفيها بحيرة كبيرة اذهب انا اليها كل صباح راكباً لانني اقدر ان آخذ من المستر « ديفدكين » اي فرس تعجبني فانه مثري عظيم ، سابح في الذهب وله املاك لا تحصى كريم النفس يحب العسكر ويحسن اليهم وهو حتى الآن لم يتزوج ولم يلتفت الى اية فتاة . وكم تزلفت اليه الامهات والاوانس فكان كالصخر لا يلين وقد بلغني في الآونة الاخيرة ان بعض اصدقائه وجدوا له عروساً من الخارج يزفونها اليه حال وصولها فتذكرت نسي بدلة العرس وكلمات خالتها فاخبرت جيرالد بذلك وقالت :

ـ : لا شك تكون تلك العروس غنية جداً

ـ : نعم سوف تكون كمكتلة ذهب تخطر في القصور وعلى رؤوس الجبال وفي السهول واينما ذهبت تطأ املاكه العامرة وهناك خمس سيارات فاخرة مهيأة لها

ـ : فهل هي جميلة ؟ وما هو لون شعرها ؟

ـ : لا اقدر ان اقول لك سوى انها قبلته على السمع فقط والآن تقدمي الى هنا وانظري الى ذلك الجبل البعيد وقد كلله السحاب ، فاقتربت الى الجهة الثانية وقد انفردا سوية فكلمها باشياء كثيرة مونسة وقد

سحرها بحلاوة الفاظه حتى انها نسيت خالتها . واذا بها تناديها فاسرعت اليها فقالت لها : ايك ومكالمة ذلك الضابط ومجالسته فنني لا اسمح لك مرة اخرى ان تنظري اليه نظرة واحدة

اننا نعرفه حق المعرفة : فانقضت هذه الكلمات على قلب « ننسي » انقضاض الصاعقة

٧

مضى ذلك اليوم وتلك الليلة وتلاها بضعة ايام والضابط يتوق الى رؤيتها وهي تتشوق الى حديثه وانسه

وحدث لها ذات يوم ان كانت جالسة على كرسي طويل على ظهر الباخرة تقرأ المجلات وقد تركتها خالتها وراحت تكتب في غرفتها فتقدم اليها الضابط وعاتبها بلطف على ذلك الصدود المتمادي فلم تتمالك لضعفها ولسطوة جاذبيته ان دخلت معه في الحديث ، متناسية نصيحة خالتها فتمكن من اقناعها بان لا شيء يمنعها من محادثته وان امر خالتها غريب في بابه . ثم قال :

سنصل غداً الى « كولومبو » فتملصي من خالتك فآخذك الى الشاطي ثم الى جبل «لافينا» حيث تقدر ان نرى مناظر عجيبة و نتحدث احاديث طيبة لذيذة فوعدته ان تجتهد في ذلك . و ودعته وعادت الى خالتها

٨

رست الباخرة صباح الغد على ميناء « كولومبو » وكانت الخالة جسكه قد دعت بعض الركاب الى تناول الطعام في افخر مطعم في « كولومبو » فتظاهرت ننسي بالمرض واستأذنت خالتها ان تبقى بالباخرة فحاولت خالتها

اقناعها بالذهاب معها فتتسلى وتستريح فلم تفلح فتركتها في الباخرة وذهبت مع قرينها واصدقائهما

فما غابوا عن عينيها حتى ركبت قارباً بخارياً مع «جيرالد» وتوجهت الى جهة الجبل وكان « جيرالد » قد اوصى احد المطاعم ان يرسلوا لهما غذاء الى منعطف الجبل ثم تسلقا الى قمته وجلسا بين الصخور الشاهقة حيث تجلت امامهما مناظر تلك المدينة باجمعها فقال لها جيرالد ها ان المدينة كلها امامنا ثم جلس عند قدمي ننسي وقال :

لقد ساعدنا الحظ ان يكون لنا يوم ننفرد فيه فنتفاهم في امر ذي بال ، بل ان نحمسه قبل ان نترك هذا المكان

فاعلمي يا ننسي انني احبك وربما تأكدت ذلك مني جيداً ، وانني اكلمك بصورة جدية

ولقد تحققت منذ اول يوم نظرتك انك المرأة الوحيدة لي في العالم . انني لست غنياً ، ولعلك تجدين نصيباً احسن في المدة التي تصرفينها عند خالتك ، ولكني ارجوا ان ترضيني زوجاً لك

فلم تجبه ننسي بكلمة بل تناولت يده ومسكتها بكلتي يديها الصغيرتين الناعمتين واخذت تفكر في بيت والدها وقريتها وكم يكون « جيرالد » عظيماً باعين القرويين رفقائها وخصوصاً في حلته العسكرية الجميلة وكم يكون شديداً فرح والدتها بهذا النصيب الحسن

ثم علات نفسها بان خالتها سوف تغفر لها هذه الزلة عندما تطلع على الحقيقة وسيسرها الامر لانها لا تزال تقول ان من واجبات الفتاة ان تجد لها زوجاً صالحاً

ثم عاد «جيرالد» وقال لها : ترين يا عزيزتي ان امامي تقدماً عظيماً . فيما ان العسكري قليلاً ما يكون صاحب ثروة لان عليه مصاريف لا يقدر ان يخلص منها هذا ولا اخفي عليك انني لما اصل الى « رانجون » ارسل الى ساحة الحرب ومن الممكن ان الاقي الموت هناك على ساحة الشرف . واذا اقترنت بي فسوف اخذك معي فالمعيشة هناك خشنة ولكنها كالتنزه وتسكنين اقرب مدينة الى الجبهة الحربية وانا اجيء اليك كل ما سمحت لي الاحوال

قال هذا واجال نظره في البحر الواسع متصوراً ذلك اليوم المجيد المقبل وقال :

انني اكلم خالتك وزوجها هذه الليلة وهما سيعززاننا حينما يعلمان ان المسألة رسمية وانها ليست الاولى في بابها فقد سبقنا عدة اناس بان يخطبوا على ظهر الباخرة . . .

بعد هذا قاما يتنزهان بين الادغال والاحراش وهما غائصان في الاحلام الذهبية حتى مالت الشمس الى المغيب فوقفا يودعان ذلك المكان الذي فيه قطعا عهود الحب والزواج والبسها « جيرالد » خاتمه علامة الرضا والقبول فما وضعته باصبعها حتى شعرت بسرور فائق انعش قلبها وكل جوانحها

٩

نزلا من الجبل وعادا في القارب الى الباخرة وانوار الفرح والسعادة منتشرة على محياها فتلقتها خالتها على ظهر الباخرة بوجه عبوس غضوب قائلة :

اين كنت يا ننسي ؟ فاجاب « جيرالد » : انا اوضح لك كل شيء اذا سمحت لي : فدفعته باشمئزاز قائلة « زوجي يعرف ان يكلمك

فاستدلت ننسي من هيئة خالتها ان الامور لن تجري كما املت فجذبتها

خالتها من يدها ونزلت بها الى الحجرة واغلقت الباب وقالت :

كيف تذهبين مع رجل غريب وتبقي طول نهارك معه بعد ان رفضت طلبي منك ان ترافقينا فتعللت بتوعك مزاجك ان ذلك لخطأ عظيم منك ولكن خطأي اعظم . . . . فاجابت ننسي

نحن مزمعان ان نقترن يا خالتي وقد اتفقنا على الحب الدائم

ـ : اتفاق همجي مغاير لكل قاعدة تمدن فهذا لا يتم قطعياً

ـ : انت لا تزالين تقولين ان الفتاة يجب ان تختار لها قريناً ولا تضع كل المسؤلية على عاتق والديها قالت هذا واصحبته بتنهد طويل .

ـ : وانا لا افهم لماذا تكلميني اليوم بلا لطف

فاخذت الخالة تقضم اظافرها غيظاً لدى وقاحة الضابط وسذاجة الفتاة ثم لمحت الخاتم في يد ننسي فصاحت :

ـ : لا اعلم كيف يتجاسر على هذا العمل ! تباً له ما اوقحه ! . . . .

فارتاعت ننسي لغضب خالتها وجمد دمها في عروقها ثم تنهدت وقالت :

ـ : اننا قد تعاهدنا على الامانة .

ـ : كيف تقدرين على اعادة هذه اللفظة المهيجة .

وما ادراك انت بهذا الرجل وبامانته ؟

ونحن نعرف ما يصلح لك ولناخطة اخرى لاجلك فلا تكلمي ذلك الشاب الوقح ما دمنا في سفرتنا هذه وسيحسم زوجي هذه المسألة . ودخل « المستر دن » وهو باشد حالات التأثر وقال :

ـ : قد امرت « جيرالد » ان لا يكلمك قطعياً واعلمته اننا لا نوافق على عمله المغاير لغايتنا . وانت يا ننسي يجب ان تتقي بنا كل الثقة لاننا نريد سعادتك

وعن قريب ترين ذلك ، قال هذا وخرج بعد ان كرر على نسي ان لا تكلم الضابط قطعياً فحجبت نسي نفسها عن انظار « جيرالد » لكنها كانت تتصور وجهه الشاحب فتشعر بألم شديد يمزق قلبها .

فارسلت له تذكرة تقول له فيها انها ثابتة على العهد فاجابها انه رهين الانتظار

١٠

وبعد ايام وصلت الباخرة الى « رانجون » ونزل الركاب كل الى محله وماعادت الخالة توجس خيفة من ذلك الشاب فرجعت تهش لنسي وتجاملها وتقدم اليها كل مايسرها ، حتى ان نسي استغربت تلك المحبة الفائقة وبعد ايام دعيت اسرة خالتها الى مادبة العشاء العظيمة في قصر المثري الشهير المستر « ديفد كين » فقالت لها خالتها :

ـ : يجب ان تظهري بمظهر الابهة والجلال بين تلك الجمعية فارتدي « البدلة » البيضاء المزخرفة بالفضة وضعي على رأسك اكليل الورود الذهبية التي جلبتها لك . فدهشت نسي وقالت :

ـ : يا خالتي ان ذلك للفتاة التي سوف تقترن . فكيف البسه انا ؟ فلم تجبها خالتها انما قبلتها وابتسمت قائلة :

ـ : هذه الزينة لك فالبسيها وها انني اهديك ايضاً الفرو الفاخر الذي لي . . .

اكملت نسي لبسها وزينتها ووقفت امام خالتها فلم تتمالك ان ضمتها الى صدرها وقالت :

ـ : انت الآن عروس صغيرة فادارت وجهها بسرعة اذ ان الدموع

جالت في عينيها . وقالت في نفسها : ياليتني عروساً لجيرالد ! ثم خنقت عاطفتها سائلة خالتها :

ـ : الى اين نذهب الآن ؟

ـ : الى عشاء عظيم في قصر المستر « ديفد كين » انه قصر غاية في الابهة والجلال . ولابد ان يأخذك المستر ويريك محتوياته . واعلمي انه رجل محبوب جداً ولطيف وكريم فضلاً عن انه اغنى الناس هنا ولقد اريتك صورته عندما كنا في الباخرة .

١١

وصلت نسي الى قصر « ديفد كين » الشهير فتاهت عجباً من تلك الفخامة والعظمة ومن تلك الاروقة واعمدتها الرخامية العجيبة ومن ، تلك القاعات ورياشها وانوارها الساطعة ومن ذلك الجم الغفير من السيدات المرتديات اثمن الحلل والجواهر فبهرت عيناها بينما كانت هي موضوع اعجاب الجميع بجمالها الرائع . فخف المستر « ديفد كين » لاستقبال القادمين . واخذ يدي نسي بين يديه بتحبب وقال : أانت نسي ! فمرحباً بك وعندها صدحت اجواق الموسيقى بانغام شجية وعلت ضجات السرور . اما المستر « ديفد كين » فلم يفارق نسي لحظة انما كان يكرمها ويجاملها وهي تعجب من لطفه

حان وقت العشاء فاخذ المستر « ديفد كين » ذراعها واجلسها عن يمينه . وعند انتهاء العشاء سألها ان تتبعه لكي يريها جنينته التي كانت تسطع بالانوار الكهربائية . فالتفتت الى خالتها تستأذنها فاجابتها : « اذهبي ياعزيزتي فلا مانع البتة » فتأبط ذراعها وسار بها وقد احدقت بها جميع العيون وحسدتها الاوانس على ذلك الحظ الذي ماقدرت احداهن ان تفوز به

ولكن ننسي لم تكن سعيدة اذ انها لم تر «جيرالد» بين القوم

سار بها الى ايوان واسع يشرف على الجنينة الزاهرة الحاوية احسن اصناف الازهار والاشجار والاطيار والاسماك والحيوانات الداجنة وشلالات المياه الرائقة ترش على الزهور سيولاً من اللجين واللازورد ثم نزل بها السلالم المكسوة بالقطيفة الارجوانية اللون وسار بها الى ممر بين الورود من الجانبين ورائحتها تعطر الفضاء ثم انتقل بها الى مكان الاطيار الموضوعة في اقفاص جميلة تكتنفها الرياحين والزنابق ثم قال : هل تعجبك هذه المناظر فانها صنعت لك وعلى اسمك . وهنا ترين هذا المعرش المكسو بانواع الياسمين عملته لكي تستريحي فيه وتمتعي نظرك بخرير هذه المياه وتشنفي اذانك بانغام هذه الطيور الجميلة التي علمها وروضها اعظم اساتذة الانغام وكل هذا لك ولاجلك

ثم كبس على زر كهربائي فامتلأت الاقفاص انواراً بهية فهبت الطيور من رقادها تغرد انغاماً سحرت ننسي وصعدت بها الى عالم الارواح

ولاحظ «ديفد كين» ابتهاجها فانعطف اليها يبسم ويقول: لقد تأكدت ان هذه كلها ترضيك وتسرك

فراعها كلامه وقالت : « من اين كنت تعرفني حتى انك تنسب كل هذه الاشياء الحسنة لي ؟ »

— : انني احببتك يا ننسي وانت صغيرة ، وحرمت على قلبي محبة غيرك وقد هيأت كل شيء لك وعلى اسمك . لقد احببت رسمك منذ كان شعرك الجميل مسترسلاً الى ظهرك

وقد عرفت بذلك حضرة خالتك وها انني اضع الآن قلبي بين يديك

ولك ان تحييه اوتميته . وقبل ان تقضي علي اريد ان اريك شيئاً لابد ان يسرك فتحققي صدق حبي لشخصك يا عزيزتي

ثم قادها الى مكان في وسط الحديقة وحوله غابة من الزهور والرياحين . وفيه جوق من تماثيل الرخام الناصع البياض بعضها قائمة وبيد كل منها صينية من الصيني الاصلي وحولها كؤوس الشاي المنزلة باحرف من الذهب تجمع فيتألف منها اسم « ننسي كين » وبعض التماثيل راكعة امام كرسي كبير مصنوع من الابنوس والعاج وبيد كل من الدمى آلة طرب فكبس على زر فصدحت تلك الآلات باطرب الانغام . ثم قال : « قد هيأت لك هذا المحل لتتناولي الشاي فيه كل يوم

فلم تجب ننسي بكلمة لانها تمنت ان يكون «جيرالد» بقربها في تلك الساعة

ثم كرر السؤال وعيناه مغرورقتين بالدموع

— : هل يزعجك سؤالي اذا فاتحتك بحبي بل في عبادتي لشخصك ايها الملاك الكريم ؟ » اجابت :

— : ارجوك ان لا تظهر لي شيئاً من هذا »

ففهم انها لاتريده فاخذها بيدها وقادها الى خالتها وقد اخذ اليأس منه كل مأخذ

لم تتأثر ننسي لانكسار قلب ذلك الرجل الشريف الوديع ولم تطمح نفسها لذلك المجد الباذخ انما كان « جيرالد » موضوع آمالها وغاية حياتها

ولم يخف على الخالة ان ابنة اختها رفضت محبة المستر « ديفد كين » ومجده وذلك لاجل حبها للضابط الطائش المخادع فاستأذنت المستر «ديفد»

بالانصراف بعد ان الحت عليه ان يزورهم في اليوم التالي

اختلت الخالة بابنة اختها وسألتها عما دار من الحديث بينها وبين المستر «ديفدكين». فلم تخف عنها شيئاً. واعلمتها انها رفضت حبه ولا تريد ان تقترن به . فقدح النار من عيني الخالة . لكنها هدأت الروح وعادت الى الملاطفة تحاول اقناع نفسي لعلها تهديها الى ما به خيرها الحقيقي . فلاح لها انها سمعت ووعت ولانت . فقبلتها بمزيد الحنان وقالت : « انني تجشمت الاسفار فجئت بك الى هنا لاجعلك اسعد من في هذه الديار . ومن ذا الذي يرى المستر «ديفدكين» ولا يعجب من لطفه وكرم نفسه. وكيف لا تميلين اليه امام كل الحب الذي خصك به . انه لقد احبك وانت طفلة . ومن اجلك سد باب قلبه لقاء أي حب كان ، وامام اية امرأة كانت . وهيأ لك عيشة تحسدك عليها ملكات العالم .الا يا ابنتي صحي غلطك . واذا ما جاء عندنا بعد ايام قابليه بالوفاء ولا تدعيه يخرج من بيتنا الا على ثقة واطمئنان

فخلت نفسي بنفسها واخذت تقابل بين المستر ديفدكين وجيرالد . فكان قلبها يطرد كل فكر حسن يأتيها بشأن «ديفدكين». ويمثل لها «جيرالد»، بهيأته العسكرية وفقره ، الرجل الوحيد الذي يستحق قلبها وقد اخذ ضماناً بذلك . فاسرعت الى منضدتها وكتبت «لجيرالد» رسالة اخبرته فيها بكل شيء وارسلتها مع المربية وفي الغد دخلت عليها المربية وهي في السرير فقدمت لها الجواب وفيه يطلب مواجهتها بعد الغروب بقرب المعبد القديم ، وعند الفطور لاح لخالتها انها مشغولة البال فسألتها عن السبب. فصرحت لها بان قلبها لا يطاوعها على الميل الى المستر «ديفدكين» والعدول عن «جيرالد». ولما عجزت خالتها عن اقناعها قالت : « ان ما تقولينه يحط من قدري وقدر زوجي فالاجدر بي ان

اردك الى والديك حتى ينظرا في امرك ويدبراه » ها ان زوجي مسافر بعد ايام الى « كولومبو » بشغل هام وانا اريد مرافقته لاني لا اقدر ان اتحمل امام الناس امرك ولا يمكني قطعاً ان اشاهد انكسار قلب « ديفدكين » الشريف . فسنأخذك الى « كولومبو » ومن هناك نرسلك الى اهلك . ومتى نال « جيرالد » فرصة فليذهب الى قريتكم ليقترن بك برضا اهلك . وها انني امنعك من الخروج من بيتي من الآن حتى ساعة السفر . اللهم الا اذا رجعت عن غيك وآمنت بتمولي ان « جيرالد » مخادع ومنافق . وحيث ان الكلام قد جاء اوانه فاني ازيد واقول لك انه مشهور بفسقه وقد خدع اوانس كثيرات والبسهن مثل هذا الخاتم الحقير و لم يصدق مع احداهن »

قد تألمت نفسي لدى سماعها هذه الكلمات الا انها لم تستطع سبيلاً الى ان تفكر سوءاً بجيرالد

١٣

ولم يكن من امر خالتها ان يئست منها فاهملتها تماماً . وذهبت في ذلك المساء مع زوجها الى سهرة شيقة عند بعض الاصدقاء دون ان تخبرها . فتوجهت نفسي الى قرب المعبد القديم فلاقت جيرالد فقصت عليه كل شيء . فاجابها انه يقيم حفلة الزفاف قبل ان ترسلها خالتها الى اهلها . ثم ودعها وذهب

وفي الغداة دخلت عليها خالتها وجلست على سريرها واخذت تلاطفها وتطلب اليها بدموع حارة ان تخرج شيطان العناد من قلبها وان ترضي المستر «ديفدكين» عندما يزورهم فقالت لها نفسي لا قدرة لي على التصديق ان «جيرالد» مخادع . ولا اخفي عنك يا خالتي ان حفلة زفافنا ستكون قبل سفرك . واما المستر «ديفدكين» فلا ميل لي اليه والى انجاده . اما السبب فلا ادري ما هو »

فخرجت خالتها من عندها وهي كالفاقد الرشد

١٤

لم يمت الامل تماماً في قلب المستر « ديفدكين » . انما كان يرجو ان تعود ننسي الى رشدها فترى الحقائق وتتمسك بها . فجاء على الوعد لزيارة خالتها . فطلب ننسي فدعيت ودخلت ووجهها ذابل وقلبها اليم . فاقبل عليها يطيب خاطرها بكلام اعذب من الشهد . فلم يكن منها ان كشفت حقيقة الامر واماتت في قلبه كل امل . فقال لها بتأسف وشفقة « مسكينة انت ايتها النعجة الصغيرة البريئة انهم لم يعرفوا ان يمهدوا لك سبيل الحياة . . . وعلى كل حال اني لا اريد اغتصابك . وحيث اني قد احببتك بكل قواي فلا اشاء ان ازعجك واغضبك انما اقول لك . اذا احتجت يوماً الى صديق فانني امامك فتذكريني

فتناثرت الدموع من عينيها . فعلم المستر « ديفدكين » انها لم تبك الا لان كلامه ألمها ولشعورها بان خالتها دعته حتى يغير قلبها . فدخلت خالتها ورأت الكآبة بادية على كلا الوجهين فادركت المعنى ولم تتمالك ان قالت : « نحن مسافرون بعد خمسة ايام الى كولومبو واما ننسي فستعود الى اهلها » فذعر لهذا النبأ وقال ننسي لاهلها ! . . . ثم ودع وخرج .

١٥

عاد المستر « ديفدكين » الى قصره وانطرح على كرسي طويل وهو خائر القوى . وقد اسود وقبح في عينيه كل جمال وبهاء القصر وما فيه . ثم اخرج من جيبه صورة صغيرة فنظر اليها وقال : « احببتك صغيرة وانتظرت نموك نمو الزهرة البديعة ولما ازهرت وكملت اقتطفك غيري ! » ثم قلق به المكان وشعر ان السقف موشك ان يطبق عليه فقام مذعوراً ونزل الى

الجنينة فمر من امام الاقفاص فانتبهت له الغزلان والاطيار واصطف الخدام على طريقه ينتظرون اوامره فلم يحتفل لشيء انما صرف الخدام واخذ يتخطر بين الورود والزنابق حزيناً ولهان ولم يبرح يناجي الاحلام الذهبية حتى بزغ الفجر . وقد سجل الدهر في تاريخ حياته اكبر خيبة حدثت له وامر ليلة قضاها في عمره

١٦

اما الخالة جسكه فعادت ايضاً الى محاولة اقناع ننسي باساليب جديدة من التلطف والتوسل والوعيد والتهديد والدموع . فكانت كمن يضرب على حديد بارد . فاضطرت اخيراً ان تقول لها : « اذا كنت مصممة على الاقتران « بجيرالد » فيجب ان تعلمي قبل ذلك انه مغرم بفتاة غيرك قد وعدها بالاقتران بها . واما انت فلن يكون نصيبك منه الا الفشل والهوان والخيانة ... » قالت هذا وهي منهمكة في تعبئة ثيابها في صندوق السفر ، فكانت ترمي كل قطعة بعنف شديد وغضب غريب كان القطعة « جيرالد » وهي تريد تمزقه وتعدمه الحياة

واتخذت منذ تلك الليلة وسائط المراقبة والتحفظ الشديد على « ننسي » خوفاً من ان تفر من يدها وامرت الخدام والحراس ان ينتبهوا كل الانتباه حتى لا يدخل دارها اي غريب كان

واعلمت « ننسي » ان السفر يكون في الغد وصرفتها الى حجرتها حتى تنام باكراً فتقوم في الغد منذ الصباح للتهيؤ للسفر وركبت سيارتها وانطلقت

١٧

وبعد قليل دخلت المربية على ننسي فدفعت اليها رسالة من « جيرالد »

يقول لها فيها انه يريد مواجهتها حالاً بقرب المعبد فقدمت في الحال الى المربية مبلغاً يعادل خمس ربيات وهو كل ما كان في جيبها وقالت لها :

« هذا لك فاسرعي كالبرق الى المعبد حيث تجدين « جيرالد » فقولي له لا استطيع سبيلاً الى ملاقاته واني مسافرة في الغد » ولم تنصرف المربية حتى شعرت تنسي بضرورة مواجهة « جيرالد » فلبست رداءها فوق ثياب النوم وتهيأت للخروج واذا ستائر شباكها تتحرك وتراءت من بينها خالتها فبهتت تنسي وصاحت :

« كيف انت هنا ، وقد رأيتك داخل سيارتك ! »

فاجابتها : « قد رجعت في الحال لغرض ما . فعودي الى مرقدك ولا يهمك امري ! »

فرجعت « تنسي » الى سريرها وقد ساورتها الهموم وتنازعت قلبها الظنون والغموم . فجعلتها ضحية القلق والاضطراب لا تدري هل تصدق خالتها وما ذكرته خاصة من خيانة « جيرالد » . او تكذب قلبها وما يشعر به من الثقة بامانة « جيرالد »

وكانت تتمرغ على فراشها ولا نوم هناك ولا راحة . ومن اين الراحة بعد ذلك التهور والعناد الشديد

١٨

اصبح الصباح ولا خبر من « جيرالد » . وعند العصر خرجت الى باب الدار فرأت هندياً ينزل من العربة وفي يده غلاف فتقدمت اليه فعرفته فاختطفت منه الرسالة وامرته بالتخفي حتى تعود اليه . فدخلت حجرتها وفضت الرسالة فاذا « جيرالد » يقول لها فيها : « بكل حزن واسف اخبرك بالاختصار اني تلقيت امراً شديداً بالانتقال حالاً الى ساحة الحرب . وحيث اني عسكري

فلا بد من ان امتثل الامر . ولكني قد دبرت امر سفرك الي ياعزيزتي . فهاان خادمي الامين بين يديك . فهو وامرأته يأتيان بك الي . وعند وصولك اول بلدة نعقد قراننا . وقد ارسلت لك مبلغاً من النقود عدا اجرة القطار لانك بلا شك اصبحت زوجتي . فاستودعك الله الى الملتقى ! »

فوقفت « تنسي » جامدة الفكر والحركة لاتدري ماذا تعمل . وقد استكبرت هذا العمل على نفسها واعتراها الخوف من تلك الرحلة الطويلة الخطرة اذ تكون فيها وحدها مع الهنود ومن دون خطيبها ... فلم يثبت هذا الفكر الصالح في رأسها انما هجم عليه الطيش وقلة الادراك فتبدد كالدخان . وعاودها النشاط . فعمدت الى نقاب فاسدلته على وجهها وانسلت من دون ان يشعر بها احد فجلست في العربة المعدة لها ، بين الهندي وامرأته فسارت بهم تنهب الارض حتى وقفت امام المحطة . واذا بالمستر « ديفدكين » في سيارته المستورة . فشاهد تنسي بين الهنديين ولم تلمحه هي . فنزلت ودخلت المحطة لتقطع لها ورقة . فاسترق المستر « ديفد » الفرصة وصعد الى القطار يتفقد مكانها فرأى محلاً مكتوباً على بابه « خصوصي للمسز جيرالد ميزيرون » ففهم ونزل من الجهة الاخرى ولم تعلم به « تنسي » على انها ركبت القطار فطار بها وهي لاتفكر فيما سيحل بخالتها وزوج خالتها على فرارها

١٩

وبعد ثلاث محطات ، اركبها الهندي وامرأته عربة تجرها الثيران فسافرا فيها مدة ١٥ يوماً بين الاحراش والادغال والجبال والاودية . وقد نالت « تنسي » الطائشة من العناء والضيق مالا يوصف . حتى وصلت الى المكان المعد لها ، في قفر مهول يبعد ثلاثة اميال عن ساحة الحرب . وهناك

عجوز انكليزية قد قذفتها صروف الايام الى تلك الاراضي على اثر طيش ساقها في شبابها الى حيث اضلت سبيل الرشاد . وقد اقامت لها في ذلك الفقر بيتاً من خشب جعلته نزلاً ومطعماً للمسافرين . فحلت « ننسي » في ذلك المنزل على السعة والرحب . وربما ابهجها اكثر من قصر « ديفدكين » فتطرحت على كرسي من القش وقد تضعضعت قواها فاحضرت لها العجوز ماء لتستحم . ولكن من اين لها ثياب للتبديل . فسألت العجوز ان تتعطف عليها ببدلة تلبسها ريثما تحصل على ثيابها . فقدمت اليها من ثياب عرسها في زي قد اكل الدهر عليه وشرب

وبعد ان ارتاحت من عناء السفر اخذت تعلل نفسها بقرب مشاهدة الخطيب الحبيب الذي تركت الدنيا وما فيها وفاء للعهود التي قطعتها له . وبعد مرور ثلاثة ايام قضتها متقلبة على جمر الانتظار ، سمعت وقع حوافر الخيل فطار لبها فرحاً وخرجت الى الشرفة تستطلع الامر واذا بشرذمة من الجنود يرأسهم قائد لا يشبه « جيرالد »

فتقدم القائد الى صاحبة النزل وقال : « هل عندك مسافرة اسمها المسز جيرالد وكانت تدعى « ننسي »

قالت نعم : وها هي بانتظار خبر من زوجها » فصعد القائد وبيده حقيبة صغيرة وسيف « وجكيت » . فسلم على « ننسي » باحترام وقال :

« يسؤني جداً ايتها الجميلة ان انقل اليك خبراً اسود عن الكبتن « جيرالد » فانه قتل في ساحة الحرب وقد اخبرنا انه كان مزمعاً ان يقترن باجمل فتاة وهي انت فأتينا نقدم اليك ماتركه لك حبيبك من ذكر جميل . فدونك سيفه وحقيبته واوراقه وبدلته »

قال هذا وخرج مسرعاً لانه لم يقو على مشاهدة محياها وقد غطته سحابة اليأس والحزن الاليم

٢٠

اخذت سيف حبيبها وقبلته بدموع مرة ثم تناولت الحقيبة لترى ما فيها واذا هي محشوة بتحاريز العتاب من عدة فتيات مع صورهن يطالبنه بمواعيده ويعلمنه انهن على استعداد تام ليوم الزفاف فسقطت تلك الاوراق من يدها المرتجفة وعلا صوتها في البكاء والعويل . ثم نهضت كالفاقدة الرشد تهذي وتقول :

« اما انا فلم يخدعني ويكفيني انني دعيت بالمسز « جيرالد » وانه اعلن ذاك

ولكن لاي سبب بقيت هذه الصور والتحاريز معه ومن بينها رسالة تاريخها يوم اتباعي اياه » ؟

ثم ادخلت يدها مرة اخرى في الحقيبة فاخرجت اوراقاً مالية لا تزيد على العشر ربيات

فسقطت المسكينة على الارض لا حراك بها ولا تعي ولا تحس . فقد داهمتها حمى محرقة دامت ثلاثة اسابيع فاعتنت بها العجوز بكل حب واشفاق حتى صحت من سكرتها وفارقتها الحمى . فكاشفتها بامرها ولكنها اخفت عنها اسم « ديفدكين » وطلبت مساعدتها على الرجوع الى والديها فاجابتها : « يلزمك يا عزيزتي اجرة سفر لا تقل عن ٧٠ جنيه . ومن اين لي هذا المبلغ ؟ فالاوفق ان تبقي هنا فنشتغل سوية ونقتصد شيئاً كل يوم حتى تستطيعي يوماً ما الرجوع فقبلت ننسي بذلك شاكرة

٢١

قضت «ننسي» اياماً قلائل تشتغل في النزل صابرة . وبينما كانت ذات يوم تنظر من الشرفة اذ رأت من بعيد رجلاً طويلاً راكباً جواداً يطوي البيدطياً . فخال لها انه « جيرالد » فصرخت: « هذا هو ، وانه لم يمت ! »

فلم يقترب الرجل حتى عرفته فدهشت وصاحت : « ها هو المستر « ديفدكين » وقد جاء الى النزل ! » فنزل من ظهر الفرس ودخل وحياها وقال باسماً : « ابت الامور ان تجري على هواك يا « ننسي » وها اني صديقك الوحيد في هذه البلاد وقد اسرعت الى انجادك وانقاذك »

فبادرت العجوز تستقبله وتقول « لو كنت اعلم انك صديق ننسي لما تأخرت عن اخبارك بالامر ولكنت استرحت من اعباء ثقيلة » والتفتت الى الفتاة وعاتبتها قائلة « ما هذه البرودة ؟ ولم لم تعلميني بان لك في هذه البلاد هذا الصديق الجليل ؟

فامر العجوز ان تحضر له شاياً وجلس الى جانب « ننسي » يرمقها بانظار اللطف والحنان ، وبينهما مائدة عليها سيف « جيرالد » وحقيبته

ثم اخذ يشرب الشاي ويقول لننسي هل لك ان تثقي بي الآن وتتكلي علي ؟ فهزت رأسها كانها لم تعد تعتمد على احد . ثم قالت :

— : كيف علمت بأمري

— : قد رأيتك في « رانجون » يوم سفرك وتبعتك الى المحطة وقرأت اسمك على باب القاطرة فعرفت انك قادمة الى هنا لتجتمعي به . ثم انتشر في الجرائد خبر قتله . فايقنت انك في حاجة ماسة الى المساعدة فاتيتك على جناح السرعة لان « برمة » ليست بلدة تقدر البنات على الاقامة فيها .

ثم لمس سيف «جيرالد» فكانه لمس قلبها فسالت من عينيها الدموع فقام وحول وجهه عنها لانه ما قدر ان يشهد ذلك البكاء المر ، فقال :

— : ها انني ساغمرك بحمايتي وحناني وارجعك الى والديك سالمة آمنة فهل ترضين بذلك ؟

— : اي نعم اريد العودة الى اهلي

— : فلا تهتمي لشيء ابداً ، ولا تقلقي لان لك الحق علي يا «ننسي» فاني انا الذي جلبت عليك هذه الويلات كلها من حيث لا ادري . وما كانت هذه الحوادث الغريبة تقع لو لم احبك في تلك الصورة التي اعجبتني فيها هيأتك وشعرك المسترسل . . .

٢٢

بعد ايام قلائل حضر خدام المستر « ديفدكين » ومعهم امرأة هندية لخدمة « ننسي » وقد هيأوا كل شيء للسفر ونالت العجوز من المستر « ديفدكين » مكافاة جزيلة فاطلقت « ننسي » ناصحة اياها ان تعتمد على منقذها الفاضل . . .

ولا حاجة الى وصف هذه السفرة فانها كانت على احسن وجه يرام فبعد ١٥ يوم وصلوا الى « كالو » فامر المستر «ديفدكين» الخدام ان يواصلوا السير الى « رانجون » اما « ننسي » فانزلها في احسن فندق لتستريح فيه يومين وبعد ذلك يركبان القطار الى « رانجون » فرأت « ننسي » هناك امرأة كبيرة السن ومعها ابنة لها ، لابسة ثياب الحزن فسألت العجوز المستر « ديفدكين » عن المسافة التي بين المحطة وساحة الحرب (وكانت « ننسي » تصغي لحديثها فاجابها المستر « ديفدكين » ان المسافة ١٥ يوماً تقطع على ظهر

الدواب ولما علمت العجوز انه راجع من « شان هيت » محل جبهة الحرب سألته قائلة : هل سمعتم يا سيدي ان ضابطاً قتل هذه الايام في ساحة الحرب فان بعض الناس يقولون هنا انه لم يقتل في المحاربة انما اغتالته يد جانية .

— : وماذا يهمك ان قتل في الحرب او خارجاً عنها ؟

— : انه خطيب ابنتي منذ اربع سنوات وقد كتب لها مؤخراً ان تتبعه الى « شان هيت » ولكننا قبل ان نباشر السفر قرأنا في الجرائد خبر قتل فارتجت « ننسي » وقالت : « قتل من ؟ » فاجابت العجوز :

— : قتل الكبتن « جير الد موريزون » فابت ابنتي الا ان تزور قبره وتضع عليه اكليل عرسها . . . . (وهنا تناثرت الدموع من عيني ابنتها)

فارتاعت « ننسي » واحست حينئذٍ بخطئها العظيم حيث انها لم تصغ لنصائح خالتها . ثم دخلت الغرفة واخذت تقرع سن الندم وتبكي على طيشها وسوء حظها . فلم يلبث المستر « ديفد كين » ان دخل فرآها في اشقى حال ففهم السبب وسألها هل تحب الخروج قليلاً للتنزه فاجابته انها تحب ترك المنزل حالاً وركوب القطار الى « رانجون »

١٣

ركبا القطار وكانت « ننسي » لشدة ندمها واضطرابها ويأسها اشبه بالمجنونة الهائجة ، لا تهدأ ولا تستقر . فاخذ المستر « ديفد كين » يبذل كنائن مجهوده في تسكين روعها وتطييب خاطرها ، حتى ازال جانباً من هلعها وقلقها . ثم انقطع الحديث فغمضت عينيها ونامت . ولم تلبث ان وقع رأسها ، لاهتزاز القطار ، على صدر « ديفد كين » فاستقبله بلطف وحنان واسنده بمحبة لا تعبير لها بلسان البشر . . . وما هي الا ساعة حتى ثارت الزوابع وهطلت

الامطار وقصفت الرعود ، فانتبهت « ننسي » مرعوبة واذا هي في احشاء حمى . ولكن الخطر ابى الا ازدياداً فانفجرت آلة القطار وشرع الركاب يتواقعون منه على جانبي السكة مذعورين فاخذ « ديفد كين » « ننسي » بين يديه ونزل بها بهدو وهو لا يعرف الى اين يتوجه في اثناء تلك العاصفة الهوجاء وذلك الطوفان المخوف

وكان امامهما نهر ، فيه زوارق للهنود ، وليس هناك سوى معبد لهم قديم قائم على الضفة الاخرى من النهر

فالتجأ الى زورق كبير مربوط على الشاطئ وقد اظلمت الدنيا . وحالما سكنت الزوبعة قليلا امر صاحب القارب ان يسير بهما فيوصلهما الى الهيكل

وكانت « ننسي » ترتجف بين يديه كالريشة يتلاعب بها الهواء . ففرش لها متاعاً في المعبد ووضع بالقرب منها « فانوسه الكهربائي » وهم بالخروج قائلا :

« استريحي هنا فانا ابيت الليل في القارب ، واحرسك من هناك »

فتعلقت بذراعه طالبة اليه ان لا يبتعد عنها فانها مائتة من الخوف

وانهما لكذلك اذ دخل عليهما بعض الهنود يريدون سلبهما فاطلق « ديفد كين » من مسدسه عدة عيارات فولوا هاربين . فلم يعد يترك « ننسي » وحدها انما افترش له عند مدخل الهيكل واستراح

١٤

وبقيا هنالك ثلاثة ايام ينتظران اصلاح القطار . وعاشا عيشة « روبنصن كروزي » يصطادان السمك تارة والحمام اخرى . ويتجولان في البرية والحرش ويقطفان ما يطيب لهما من الزهر والثمر . وفي اليوم الثاني عاود « ننسي » شيء من البهجة والرونق . فسر « ديفد كين » بذلك واغتنمه فرصة مناسبة ليجس

نبض قلبها ، مؤملاً انه قد لان وانها سترضاه عريساً . ويا ما اشد ما كان عجبه حينما ظهر له ان ذلك القلب الصلب لايزال قطعة من صخر فكظم غيظه وعزم ان لا يعود يفاتحها بالامر . ولما ان دنا الليل اعترته حمى قوية ازعجته جداً . فهلع قلبها خوفا عليه واقبلت على خدمته بمزيد النشاط والاخلاص . وكانت تبسم له كلما فتح عينيه وتحاول اراحته بكل ماعندها من طيب الحديث والمجاملة . ثم شعرت بقبح ما سبق منها من القسوة والغلظة ، فجلست الى جنبه تفرك يديه بلطف وهدوء . فرمقها بنظرات وديعة ، متكسرة ، احست انها تسحب قلبها وتخلبه . فانحنت اليه تريد تقبيل قدميه مستمدة العفو والغفران . فحال دون ذلك دخول الكبتن « فارا » وهو الذي كان قد حمل اليها خبر قتل خطيبها وسيفه وحقيبته . فهجم عليها الخجل والذعر . اما هو فحياها بالسلام وقدم اليها سلة فيها اطعمة نفيسة حملها الى المستر « ديفدكين » معتذراً انه لم يبلغه خبر وجوده هناك الا قبل دقائق معدودة . فنظر اليه المريض و شكر له لطفه . وقال « لننسي » : « كلي من السلة ماتختارينه فانك ياعزيزتي لم تذوقي منذ امس شيئاً »

قال هذا وعاد الى نومه . اما الكبتن « فارا » فالتفت الى « ننسي » وقال لها : « ارجو ياسيدتي ان تعود اليك ايام سعيدة تنسيك ما دهمك من المصائب » قالت : « لقد جربت حظي فكان اسود . ولا اؤمل الآن شيئاً سوى الوصول الى والدي ووالدتي لكي اخدمهما طول حياتي » . فودعها وهو يقول : « وما ادراك ان تبسم لك الايام وتنالي نصيباً احسن ؟ . . »

وفي نهاية اليوم الثالث زالت الحمى عن « ديفدكين » وتم اصلاح القطار فعاد اليه هو و« ننسي »

٢٥

ولم يجر بينهما في القطار حديث يذكر ، فان « ديفدكين » ندم على مفاتحته اياها بامر الزواج

ثم وصل القطار الى « رانجون » فانزلها على حسابه في « نزل » فاخر وقفل راجعاً الى قصره فعاودته الحمى فلازم الفراش يومين . ولم تعلم « ننسي » بذلك فاخذها العجب من ذلك الصدود واستولت عليها الحيرة والضجر اذ انها كانت عازمة على السفر الى اهلها ولا مدبر لها ولا معين . فعمدت الى القلم لتكتب للمستر « ديفدكين » فتشكره على لطفه واتعابه فما خطت كلمة حتى التفتت فرأته واقفاً الى جانبها ، والرقة تتدفق من عينيه وفمه فانتشر الدم في محياها فقالت :

— : كنت اكتب لك لاسألك عن صحتك واشكر لك احسانك العظيم

— : لم اصنع ما يستحق الشكر . اما الآن فاتيت اخبرك ان الباخرة تقلع بعد ساعتين مسافرة الى انكلترة فاعطيني جواز سفرك لاجل التقييد والاشارة عليه فاخرجت من حقيبة « جيرالد » جوازاً وقالت :

— : يجب ان يصححوا اسمي في هذا الجواز . فانه مكتوب هنا « قرينة جيرالد » فليشطبوا عليه وليكتبوا « المس ننسي »

وهنا نثرت عدة لآلى من عينيها على ورقة الجواز ، فقالت :

— : ها ان الدمع محا ذلك . على ان الاقتران لم يكن . . . وانني لم ازل الآنسة « ننسي » ، تلك العذراء المسكينة التعسة

فلم يقو « ديفدكين » على ذلك الموقف . فاخذ الجواز وخرج وقلبه يتجاذبه الامل والشفقة . فجرت وراءه وسألته هل تقدر ان تذهب الى الباخرة

حالما تنتهي من ترتيب ثيابها . فاجابها : « نعم وأنا انتظرك على الميناء لاحلك احسن محل في الباخرة »

٢٦

دبر المستر « ديفد كين » امر جواز السفر ثم ذهب الى الباخرة واعد « لنسي » افخر محل . فما ابطأت ان قدمت فاوصى عليها . ثم صافحها وقال لها وقد اخفى تاثره :

— : رافقتك السلامة ايتها الآنسة « ننسي »

— : اقدم لك الف شكر ، ايها المستر « ديفد كين » . بل الف الف شكر ، ايها المحسن العظيم ! »

ثم نزل الى الميناء فسار المركب ، فاخذ يلوح لها بمنديله وهي تجاوبه . الى ان ابتعدت الباخرة واخذت تمخر العباب . فرجع « ديفد كين » الى قصره وقلبه يقول له : « لاتقنط ، ان « ننسي » لم تخلق الا لك ، وانت لم تخلق الا لها . وان طيشها سيعود عقلاً ورصانة . . . »

٢٧

وصلت « ننسي » الى قريتها فلم تجد والديها في انتظارها فسارت تواً الى البيت ودخلت ، فلم تكترث لها والدتها ، انما بقيت مشغولة بترقيع ثوب في يدها

فتقدمت اليها « ننسي » لتعانقها وتقبلها . فصدتها بعنف وغضب . فذعرت « ننسي » وقالت :

— : ما هذا الجفاء يا والدتي ؟

— : انك لتستقبحين جفاء أشد ، وكراهة اعظم ! . . انك لست بابنتي !

وكيف اقبلك ابنةً لي ، وقد كسرت شرف نفسك وشرف خالتك ووالديك ، اذ سعيت وراء رجل لا يضمن راحتك وسعادتك ، ورفضت الرجل العظيم الكريم الذي تحسده الملوك والذي تنازل الى قبولك عروساً فنفرت عنه . ويكفيني عاراً فشلي لدى اهل القرية باسرهم . فاني اخبرتهم مفاخرة باني زوجت ابنتي بالمستر « ديفد كين » الشهير وانك تزورينا عن قريب ، كملكة محفوفة بالابهة والعظمة . . . . فاغربي من امام وجهي ايتها الشقية فاني لا ارضاك ابنةً لي ، ولا اعرفك ! »

دخلت « ننسي » الى غرفتها فبكت بكاء مراً ثم تجلدت وقالت : « اكفر عن طيشي باكتساب خبزي بعرق جبيني » فكتبت اعلاناً الى احدى الصحف تطلب شغلاً في احد المخازن التجارية او المصانع الصناعية وخرجت الى الشارع فالقت ما كتبته في صندوق البريد وسارت على غير هدى حتى وصلت الى الحرش فاختفت بين الشجر واوسعت المجال لدموع عينيها فسالت سيولاً غزيرة ، واقترنت زفراتها بحفيف اوراق الشجر فذهبت ادراج الرياح . ثم عادت عند المساء الى البيت ولم تذق ذلك اليوم طعاماً . فدخلت على والدها وقد رجع من شغله فانطرحت عند قدميه تستعطفه . فلم يكن اقل جفاء من والدتها فدفعها قائلاً :

— : لقد اتيت منكراً لا يغتفر

— : اقبلني ، يا ابي تحت سقف بيتك ، فاني طلبت شغلاً في احد المخازن ولابد ان يقبل طلبي

— : تعلمين اني لم اوافق من اول الامر على استخدامك في اي محل كان . فكيف احتمل ذلك الآن وانت ارملة حديثة ؟

— : انا لست ارملة . ولم اقترن قط باحد

— : ابقي هنا ما شئت . ولكن والدتك قد نبذتك ولا تريد ان تراك

فخرجت من عنده خائبة وقدخارت قواها من الجوع . فدخلت المطبخ فرأت القدرعلى النار وفيه شوربة «بطاطة» . فسكبت منها في الصحن وابتلعت بمزيد السرعة ما سد جوعها . وعادت الى غرفتها ووقعت على سريرها دون ان تنزع ثيابها فنامت حتى الصباح

ثم قامت مسرعة وتوجهت الى البريد فاذا بالموزع يقدم اليها جواباً علمت منه انها وجدت لها شغلاً في بلد خارج قريتها

فرجعت الى والدها وسألته ان يقرضها ٥ شلنات ريثما تقبض اول راتب . فاخرج من الخزانة غلافاً داخله ورقة بخمس جنيهات وهي كل ما كانت تملكه يداه . فدفعها اليها فشكرت لطفه ودخلت على والدتها فرأت عندها امرأة سمينة عمياء تقول : « اني محتاجة الى « ننسي » لتمسك دفاتري وتسكن معي في بيتي » فرضيت « ننسي » شاكرة . واعادة الغلاف وما فيه الى والدها وتركت الدار ودمعها يسيل على وجنتيها

٢٨

فذهبت السيدة العمياء بننسي الى بيتها وقدمت لها غرفة طيبة وسلمت اليها الدفاتر وقالت لها :

« لي ، في ساحة الحرب ، ابن اخت ، اسمه الكبتن « فاررا » وسيأتي عن قريب لزيارتي . ولي ابنة وحيدة وهي في الكلية . ولها هنا ثياب كثيرة تقدرين ان تلبسي ما اعجبك »

ولم ينقض يومان حتى قدم الكبتن « فاررا » فكاد يطير فرحاً لرؤيته

« ننسي » اذ انه هوالذي كان قد حمل اليها خبر وفاة « جيرالد » فاحبها وزاد حبه لها يوم رآها في المعبد الهندي اذ قدم السلة الى المستر « ديفدكين » وعلم انها عائدة الى اهلها . فكتب منذ ذلك الحين الى خالته ان تتخذها كاتبة لها وعزم ان يقترن بها ليسعدها

اما « ننسي » فلم تحفل به كثيراً ولم تعطه مجالاً ليكلمها طويلاً . وبعد مضي الشهر الاول شكا لخالته همه وحبه « لننسي » وجفاءها وصدودها . فوعدته انها تحاول تليين ذلك القلب القاسي

فلم تدع الخالة منذ ذلك الحين فرصة الا انتهزتها مجتهدة في اقناع «ننسي» ولم تنل منها جواباً ، ولا كلمة رضا

وكانت « ننسي » تختلي في كل نهار أحد في الحرش فتبكي ساعات طوالاً ندماً على طيشها . فباغتها يوماً الكبتن « فاررا » وطلب اليها ان تسمع منه كلمة لعلها تنشف دمعها . . . فجلس على الخضار الى جانبها وقال :

« لقد احببتك ، انا ايضاً ، حباً اشبه بالعبادة . وقد نشأ ذلك الحب في قلبي حينما اتيتك بسيف « جيرالد » . وعاهدت نفسي ان اسعدك وياما اعظم ما كان سروري حين سمعت من المستر « ديفدكين » انك راجعة الى اهلك فكتبت حالاً لخالتي واظهرت لها قصدي . واما انت فهلا تأخذك الشفقة علي وعلى نفسك ؟ فان قبلتني قريناً لك فقد اسعدتني واسعدت نفسك . . . اجيبيني فاني قد اعددت كل شيء لحفلة الاكليل »

فلم تجبه بكلمة ، انما رفعت اليه نظرها ، وعيناها مغرورقتان بالدموع . وتنفست الصعداء . فظن ان تلك علامة رضا وقبول . فجثا امامها وطلب يدها ليقبلها . فتمنعت واجهشت بالبكاء وقالت :

« انني اشكر لك عاطفتك الشريفة . فاسمع يا « فاررا » ما في قلبي : انني قد اخطأت جداً جداً في حق المستر « ديفدكين » . وها اني اكفر عن ذلك بدموع غزيرة اسكبها ليلاً ونهاراً . . . .

انني احبه الآن حباً صادراً عن قلب مجروح ، وهيهات ان يندمل الجرح. لقد احببته بعد فوات الوقت ولا اجسر على مكاتبته ومكاشفته بلواعج الفؤاد . وقد عزمت على معاقبة نفسي بان لا اسرها ولا اسعدها ابداً . بل ان اسحقها بالحزن واليأس . فليكن الحزن مأكلي واليأس مشربي وانتعاسة حظي ونصيبي . وليبق « ديفدكين » نصب عيني يعذبني خيال لطفه ويخزيني ذكر احسانه ونكراني . ان قلبي له ، وسيبقى له ضحيةً وبخوراً ! . .

اما انت وقد علمت كنه امري فالطف بي ولا تعد تفاتحني بامر الزواج . فكن لي اخاً صادقاً اقدر ان اسلم اليه كل ثقتي . لاني اصبحت طريدة مقطوعة »

فنسي الكبتن « فاررا » همه ومصلحته ، واخذ يتعجب من تلك التضحية العظمى ، فوعد « ننسي » ان يكون لها اخاً ومعيناً . ثم رجعا الى البيت . وبر الكبتن « فاررا » بوعده فلم يزل بعد ذلك يقدم الى « ننسي » كل نوع من الخدم والاحسان والتعزية وكان يرثي لحالها كلما رأى محياها يزداد ذبولاً ، بعد ان كان آية في النضارة والرونق

ولما ان انقضى الشهر ودع خالته و « ننسي » وعاد الى ساحة الحرب

٢٩

دخل الشتاء بلياليه الطوال وكانت « ننسي » اليفة الوحدة ، لا تجسر على زيارة والدتها ، ولا تعاشر بشراً . فكانت تشتغل طول النهار ، وتقضي جانباً كبيراً من الليل في القراءة والبكاء . وصوت المستر « ديفدكين » يرن

على الدوام في اذنيها قائلاً : « انا لا اريد ان اغصبك ، ولكنك اذا احتجت الى صديق فاذكريني ! »

ذهب الشتاء بعبوسه وزمهريره واقبل الربيع ببهجته ونوره وزهوره ، وغرد البلبل ، وانتعشت الطبيعة ، وقلب « ننسي » لم يزل في ليل شتائه البهيم

وحرمت على نفسها ، منذ دخول الربيع ، الذهاب الى الحقول خوفاً من ان تبسم لها زهرة ، او يطرق سماعها نغم طائر شادٍ . فرقت لها ذات يوم العجوز وحاولت ارسالها الى الحقل قائلة لها : « انا محرومة النظر ولكن لي اتقاً يشم فاحب ان تذهبي الى الحقل وتأتيني ببعض الزهور لا تسلى برائحتها »

٣٠

لم تحب « ننسي » ان تنكر على الضريرة طلبها . فذهبت الى الحقل . وحالما شاهدت الزنبق الناصع ، تذكرت اللطخة السوداء التي لطخت بها ما ظهر من بياض حظها ، فسودته الى الابد . فمدت يدها لتقطف الزهرة فعاصتها ذراعها وارتعدت فرائصها وخفق قلبها فسقطت على الارض تتمرغ بالتراب المبلول

فامتدت اليها يد لطيفة يرافقها صوت ملاكي يقول : « ان كنت محتاجة يا « ننسي » الى صديق معين فها أنذا امامك ! » فرفعت رأسها واذا بالمستر « ديفدكين » قابض على ذراعها يحاول نشلها . فخال لها انه خيال . فرتفت قائلة بصوت تخنقه الزفرات :

— : العفو ، فانك لو تعلم العقاب الذي به عاقبت نفسي لغفرت لي جرمي فاذهب ايها الطيف الكريم واخبره بما سمعت ورأيت لعله يرحم ويعفو !

— : قد غفرت ، يا « ننسي » . وقد اخبرني الكبتن « فاررا » بكل شيء

فاسرعت اليك . وقد ذهبت الى خاتمه فدلتني عليك . وها أنذا بين يديك ! وانا لك وانت لي ! »

فتحركت « ننسي » وانطرحت على قدميه . فتح لها ذراعيه ، وانهضها ونشف دموعها وهو يقول :

— : لا ذنب لك يا « ننسي » . فلتنقلب هذه الدموع الى دموع فرح وسعادة

ثم اوصلها الى دار الضريرة وذهب هو الى والدي « ننسي » واعلمهما انه قدم ليأخذ عروسه « ننسي » . وافهمهما انها بريئة من الذنب الذي لصق بها انما هما المذنبان لسبب انهما لم يطلعاها منذ بادئ الامر على جلية القضية فجعلاها تسافر على غير هدى فوقعت في الشرك . واعلمهما ايضاً انه مسرور بنتيجة تلك الصدفة التي ساقت « ننسي » الى حب شخصه ، دون ماله وجاهه ، وهو الحب الحقيقي الشريف . ثم دعاهما الى الاستعداد للسفر معه في الغد الى « رانجون »

ولا حاجة الى وصف ما استولى عليهما من العجب والسرور والنشاط لدى هذه البشرى غير المنتظرة

٣١

لم تشرق شمس الغد الا و « ننسي » في بهو الباخرة بين ابيها وامها وجميعهم في هيئة الاكابر كانهم امراء . والى جانبهم المستر « ديفدكين » يتفرس في محيا « ننسي » الوضاح وقد محت منه سعادة اليوم آثار شقاء السنة الماضية وأكسبته رونقاً ، ونوراً ، ومعاني جديدة لا توصف . . .

وعند وصولهم الى « رانجون » رأوا خالة « ننسي » وجميع الاصدقاء قد خرجوا لاستقبالهم وهيأوا للترحيب بالعروس حفلة فخمة شيقة

وعقبتها بعد اسبوع حفلة اعظم واسمى لم تشهد مثلها مدينة « رانجون » الا وهي حفلة عقد القران . وقد دامت افراحها الرسمية شهراً صحيحاً . واما الافراح الخصوصية والسعادة العائلية فلم تزل حليفة الزوجين جزاء حبهما العجيب الذي القته يد الزمان في بودقة المصائب والتجارب فجاء اصفى من الابريز

رسالة واحدة

لم يبق لنا مجال لنشر الرسائل الواردة علينا هذا الشهر فنقتصر على اثبات هذه الرسالة ونستميح المراسلين والمراسلات عفواً « ليلى »

الى حضرة السيدة صاحبة مجلة « ليلى »

ليتني اجد يراعاً مطواعاً لفؤادي يصف ما يكنه ضميري ، وقلبي من الارتياح والشوق الى مجلتك النسائية الوحيدة في بلادنا « القديمة »

نعم لك الفضل ايتها النبيلة اذ انك اقدمت على هذا العمل الجليل الذي يقدره كل من يعرف قيمة الحياة انك ايتها الاخت لا يمكنك تقدير سرور اخواتك اذ يرينك تطالبين بما للمراة من الحقوق والواجبات في هذه الاقطار حيث لا تزال قيمة المرأة منحطة ولا يزال اكثر الناس يظنون انها خلقت متاعاً من الامتعة

فكلنا يشكرك على هذا العمل وهذه النهضة التي لا يجرأ عليها الا سيدة عرفت من هي المرأة وما هي حقوقها في هذا المعترك

فالى الامام ايتها الفتاة — الى الامام ايتها العراقية — الى الامام يا عزيزتي « ليلى » فعليك المعول ولك يرجى الفلاح في عملك والسلام عليك

شقيقة محمد علي صدقي